المنهج الأنثروبولوجي للاستشراق المسرحي

أ.هني كريمة و أد.صياد سيد احمد

جامعة وهران1 أحمد بن بلة

الملخص:

عالجنا من خلال هذا المقال الأساس المنهجي الذي قامت عليه دراسات المستشرقين في التأريخ للمسرح العربي ، مستهلّين الحديث بالتعريف بالأنثروبولوجيا اختصاصا مستقلا بذاته و من ثم الدور الفعال الذي لعبته في الدراسات الاستشراقية منهجا أصيلا في بحثها عن أصول الظاهرة المسرحية عند العرب ، باعتبارها جزءا لا يتجزّأ من تاريخ الثقافة الشعبية العربية و من هذا التراث المتجذّر في صلب الحضارة العربية الإسلامية ، و من ثم كيف كان كان للاستشراق الأنثروبولوجي اليد الطولي في التأريخ لنشأة المسرح بالوطن العربي خاصة أن جهود علماء الأنثروبولوجيا في هذا المجال ثابتة المعالم من خلال رصدهم لمختلف مظاهر الفرجة العربية و علاقتها بالدراما على مر العصور.

الكلمات المفتاحية :الأنثروبولوجيا؛ الدراما؛ مظاهر الفرجة الفن العربية؛ المنهج الأنثروبولوجي؛ أنثروبولوجيا المسرح؛ الاستشراق المسرحي؛الخطاب الاستشراقي؛ النص المسرحي العربي.

Résumé :

Dans cet article, nous avons traité de la base méthodologique sur laquelle sebasaient les études orientalistes dans l'histoire du théâtre arabe ; commencant de la définition de l'anthropologie en tant que science autonome à part entière et donc du rôle effectif qu'elle a joué dans les études orientalistes comme méthode originale dans sa recherche des origines du phénomène du théâtre arabe en tant que partie intégrante de l'histoire de la culture populaire arabe et de ce patrimoine enraciné dans le cœur de la civilisation arabo-islamique, et puis comment était l'orientalisme anthropologique la main longitudinale dans l'histoire de l'émergence du théâtre dans le monde arabe surtout que les efforts des anthropologues sont fixés dans ce domaine à travers leur observation des différentes manifestations de la vision arabe et de sa relation au théâtre à travers les âges. Summary Through this article, we dealt with the methodological basis on which Orientalist studies in the history of the Arab theater were based, beginning with the definition of Anthropology as an independent subject in its own right. Hence, the effective role played by Orientalist studies in its research on the origins of theatrical phenomenon among the Arabs Is part of the history of Arab popular culture and of this heritage rooted in the core of Arab Islamic civilization, and then how was the Orientalist anthropological longitudinal in the history of the emergence of theater in the Arab world, especially that the efforts of anthropologists in this field fixed Through their monitoring of the various manifestations of Arab cinema and its relationship to drama throughout the ages

تعني الأنثروبولوجيا* بدراسة الجنس البشري على مرّ العصور في سلوكيّاته و تفاعلاته و تركيباته المختلفة بيولوجيّا و سيكولوجيّا و اجتماعيّا ، للتعرّف على أنماط عيشه في مختلف المجتمعات .

ببساطة الأنثروبولوجيا هي علم الإنسان[1] و لو أنّها عرفت بتسميات أخرى كعلم الجماعات البشريّة و سلوكيّاتها أو علم الحضارات و المجتمعات البشريّة إلا أنّها في الأخير تجتمع في مصطلح واحد متفق عليه هو الأنثروبولوجيا ـ Anthropologyبالإنجليزيّة ، و هو علم حديث العهد قياسا بالعلوم الأخرى كالفلسفة و الطب و الفلك ، حيث يعد القرن الثامن عشر البداية الحقيقيّة للأنثروبولوجيا اختصاص علمي له قواعده المستقلّة ، متفرّعة في خمس اتجاهات أساسيّة تشكّل نهج الدراسات الأنثروبولوجيّة و هي كالتالي : الأنثروبولوجيا التطبيقية ، الأنثروبولوجيا الحضاريّة ، علم اللغويّات ، الأنثروبولوجيا الطبيعيّة و أخيرا علم الآثار القديمة أو الحفريّات [1].

من أبرز أعلامها مونسيكيو ، السير هنري مين ، و إميل دوركايم ، كما تعدّدت مدارسها كلٌّ حسب الآليّات الوظيفيّة التي تمارسها في دراسة الإنسان ، أقدمها المدرسة التطوّريّة تليها المدرسة البيئيّة و من ثمّ مدرسة الانتشار الحضاري و المدرسة الوظيفيّة ، و هي من المدارس التي خصّصت الإنسان موضوعا لأبحاثها ، لكن ليس الإنسان الفرد كما هو الحال المعمول به في العلوم الإنسانيّة الأخرى كعلم النفس أو علم الاجتماع أو علم الفيزيولوجيا ، لكن الإنسان كلاّ متكاملا كسلالة للجنس البشري تدرس نمطه السلوكي ضمن الإطار الثقافي و الاجتماعي بوجه عام ، و قد تصدّرت الدراسات الأنثروبولوجيّة واجهة البحث العلمي ، الشيء الذي جعل منها منهاجا يستند إليه كل الباحثين في مختلف الاختصاصات و التوجّهات العلميّة ، لتوظّف على مستوى كل الميادين ، و كانت حركة الاستشراق سبّاقة في هذا المجال حتى تثبت صحّة نظريّاتها و تؤطّر أعمالها و دراساتها أكاديميّا من خلال الأنثروبولوجيا منهجا علميّا معتمدا عليه في دراسة مجتمعات الشرق .

فالأنثروبولوجيا بوصفها دراسة لسلالة الإنسان في أبعاده المختلفة البيوفيزيائية و الاجتماعيّة و الثقافيّة ، سار المستشرقون على نفس النهج في تحليل طبائع الإنسان الشرقي و تركيبته الاجتماعية ، مستعينين في ذلك بمختلف البحوث الأنثروبولوجيّة في هذا المجال.

و قد تزامن تاريخ نشأة الاستشراق و الأنثروبولوجيا ، فكلاهما ظهر في القرن الثامن عشر ممّا يعني بحداثة ظهورها برغم امتداداتهما الضاربة في عمق الزمن ، فمنذ القدم ظاهرة دراسة السلوك الإنساني ثابتة في التاريخ ، أيضا الاستشراق تمثّلت أصوله البدائيّة منذ ظهور الإسلام و صراعات الأديان التي نشبت بشأنه ، كلّها وجه من وجوه الاستشراق الحديث في معاداته لكل ما يمدّ للحضارة الإسلاميّة من صلة ، كما أنّ مدارس الاستشراق

تعدّدت تعدّد مدارس الأنثروبولوجيا للنّهل من معارفها و الاستفادة منها ميدانيّا ، فالاستشراق " كان المصدر الأوّل للبدايات التأمّلية الأنثروبولوجيّة في الشرق الأوسط " [(2)]. حيث قام المؤرّخون الغربيّون و الجغرافيّون و علماء الأعراف البشريّة ، إضافة إلى المبشّرين المسيحيّين و الرحالة الفنّيّين بزيارات إلى الشرق خصوصا منطقة الشرق الأوسط التي تشمل رمّة العالم العربي بكلّ مؤهّلاته الفكريّة و الحضاريّة و الثقافيّة ، لينقلوا انطباعات الإنسان العربي و يسجّلوا ملاحظاتهم على امتداد العالم العربي لخلق صورة متمثلة عن حياة العرب خلافا لتلك الصورة التي أفرزتها معالم الحضارة العربية الإسلامية .

هذا ما يؤكّد استغلال الاستشراق للدراسات الأنثروبولوجيّة استغلالا إيديولوجيّا محضا خاصّة في فترة الاستعمار الحديث ، و هذا ما يثبت صحّة المقولة الرائجة بشأن ظهور هذين الاختصاصين على أساس أنّهما علمان استعماريّان وجدا لخدمة الحكومات الاستعماريّة و تحقيق أطماعها الإيديولوجيّة ، و شكّلت أعمالهم الركيزة الأساسيّة للسيطرة و الهيمنة الفكريّة ترويجا للمركزيّة الأوروبيّة ، و هو ما أطلق عليه ادوارد وديع سعيد في كتابه الاستشراق " المؤسّسة المتحدة للتعامل مع الشرق"، في تعامل علماء الأنثروبولوجيا مع علماء الاستشراق في تلك الآونة من الاستعمار ، و لا شكّ أنّ كل من أفكارهما قامت على التقشّف العنصري للحضارات، إذ "لم يكن بين الساسة الغربيّين أو العلماء الدارسين للثقافة الشرقيّة [أننثروبولوجيّين أو مستشرقين] المميّزة عن الثقافة الغربيّة من يختلف في أهمية احتلال المنطقة العربيّة أو حزامها الإسلامي غير العربي ، بل كثر التأكيد على ضرورة المعرفة بها لغات و ثقافات لغرض السيطرة. و يمكن أن نجد بين العلماء المختصّين باللغات من يقف ضد العنف و الغطرسة دون أن ينسى للحظة واحدة الأهمية التجارية و الاقتصادية لهذه المنطقة على أساس التبعية لا التكافؤ"[(3)] ممّا يؤكّد أثر المدرسة الأنثروبولوجيّة الحضاريّة في ممارسات المستشرقين ، و هي مدرسة تعنـي أو تختصّ بدراسة كل ما يتّصل بثقافـات الشعوب و حضاراتـها ، بما في ذلك شعـوب الشـرق الأوسـط التي هي محـور دراسـات الاستشـراق من أدوات النمط المعيشي للإنسان العربي ، و شكل المأوى أو المساكن و اللباس و الأكل ، إلى دراسة كل ما يتعلّق بآدابها و فنونها للكشف عن خلفيّاتها الفكريّة ، و كذا درجة الحس الفني الذي بلغته هذه الشعوب في نظر الفكر الاستشراقي .

و غالبا ما موضعت الدراسات الاستشراقيّة البحث في تاريخ المواطن العربي على أنّه عيّنة انثروبولوجيّة لم تخضع بالمرّة للتطوّر التاريخي[4] ، و عن حقيقة المنهج الأنثروبولوجي اعتُمِد عليه لأنّه "منهج تأصيلي يفسّر المشتركات بين البشر بالعودة إلى الأصل المفترض رمزا أو حقيقة أو تاريخا أو فسيولوجيّا"[5] بما يتناسب معرفيّا و فعل التأطير الأنثروبولوجي للحركة ، و لم يتوقّف عند هذه الأخيرة فحسب ، بل ولجت الأنثروبولوجيا كل العلوم التاريخيّة و

المنظومات التفسيريّة و التأويليّة لامتلاكها دعوى النظرية الشاملة التي يمكن لها أن تفسّر كل شيء في الظاهرة سواء كانت في الدين أو في الثقافة .

ناهيك عن شبكة الأنترنيت مؤخّرا ، و هذا شيء من التظليل الإعلامي في البحث عن حقيقة الشيء ، و الذي مسّ مجتمعات الشرق الأوسط و على العموم ، و أدحض العقليّة العربيّة بصفة خاصّة ، الأمر الذي استدعى قيام حركات الإصلاح العربيّة التي ندّدت بمواقف المثقفين العرب إزاء الاستشراق أمثال جمال الدين الأفغاني و مُحَمَّد عبده ، و مالك بن نبي إلى غيرهم ، من خلال مشاريعهم النهضويّة التي سرعان ما اكتسبت عند الساسة الغربيّين ـ بما فيهم وكلائهم المستشرقين ـ معانيها على أنّها قناعات نهائيّة تخصّ المنطقة و ثقافتها و دينها و أصالة أهاليها ، و نعطي على سبيل المثال و ليس لحصر ظاهرة "التمدّن الآري" في شروحات المستشرق "أرنست رينان" الذي ردّ عليه "الشيخ مُحَمَّد عبده" قائلا أنّ الآراميين لهم فضلهم في التمدّن و الصناعة و" أنّ التمدّن الذي بلغ أوروبا جاءها من الشرق من خلال الإسلام بعدما عانت الحروب و الويلات ، و لم يكن لها فضل فيه دونما وساطة المسلمين الذين نقوا ما أخذوه عن أهل فارس و المصريّين و الرومانيّين و اليونانيّين من الأدران و الأوساخ "[6].

هذا نموذج من ردود الفعل العربيّة في حق ذلك التضليل التي مارسته الأنثروبولوجيا الاستشراقيّة في ترويج حقائق زائفة عن تراثيّات العالم العربي ، محاولة بذلك خلق شرق متخيّل على حسب الأهواء الغربيّة لما تقتضيه مركزيّتها القائمة على القوّة و السيطرة باسم المعرفة و التحديث ، فما هو ماكث في العقل الأوروبي هو تلك النظرة الاستعلائيّة على مدى فترات من التاريخ العربي المتمثّلة في كون الشرق الأوسط المعاصر "كيان ساكن أو متخلّف ، بمعنى أنّ مؤسّساته تتسم بخصائص تحول دون التحديث ، كانت هذه هي الافتراضات التي انطلق منها ماركس و غيبير في ذروة أيّام الرأسماليّة و التي سار عليها الكثير ممّن أثارتهم المعجزة الأوروبية و الطابع الفريد للغرب"[7] .

لقد استهوت كل من كتابات الأثروبولوجيين "أرنست غلنر" و "غيرتز" التي عرفت بأنثروبولوجيا الإسلام في العقود الثلاثة الأخيرة جيل المستشرقين المستحدثين "لأنها مباشرة ، و يمكن استعمالها بطريقة أسهل في حكمٍ سريعٍ على الإسلام" [8]. لذلك لم يكن المنهج الأنثروبولوجي لحركة الاستشراق إلاّ محصّلة لنرجسيّة دفاعيّة، هذه الأنثروبولوجيا التي جاءت مستندا جوهريّا أفرزته منجزات عصر النهضة الأوروبيّة و الثورة العلميّة و مرحلة التنوير.

و فضلا عن ذلك فإنّ المتأمّل لتاريخ حركة الاستشراق و الأنثروبولوجيا يجد ـ بلا شك ـ أنّ كلاهما ظهر بصفة رسميّة في القرن الثامن عشر مع تزامن تطوّرهما في آن واحد، و ذلك لطبيعة"المادّة التي اعتمداها"[9] و أنّهما علمان استعماريّان وجدا لنفس الغرض و هو خدمة مصالح الاستعمار ، على أنّ هناك فارق جوهري بينهما بحيث أنّ

العلم الأوّل ـ و هو الاستشراق ـ نشأ نشأة كنائسيّة لتكملة مسار التبشير و التنصير ، و من ثمّ تطوّر الأمر إلى معرفة شاملة ، تجلّت معالمها رسميّا بصدور قرار مجمع فيينا الكنسي في عام 1312م و الذي دعى إلى إنشاء عدد من كراسي اللغة العربيّة و تدريسها في عدد من الجامعات الأوروبيّة "و قد كانت اللغة العربية وقتها كالانجليزية اليوم ، لغة الرقي و المدنية "[10]، أمّا الثاني أي الأنثروبولوجيا فمن بدايته تميّز بطابع المعرفة في دراسة النمط البشري عبر العصور ، فقد نشأ علما وضعيّا متطوّرا ، وصل إلى قمّته من النضج و التطوّر في نهايات القرن التاسع عشر و بدايات القرن العشرين علما كاملا متكاملا .

إنّ جل الدراسات الأنثروبولوجية لمنطقة الشرق انصبّ الاهتمام فيها بدراسة أربع مراحل تميّزت بالتجربة المحكمة و الملاحظة الدقيقة لأثروبولوجيا الشرق هي مرحلة سيطرة المستشرقين أوّلا ، و مرحلة الرحالة و الإداريّين السّياسيّين في العصر الاستعماري ثانيا أي الأنثروبولوجيّين الهوّاة ، ثالثا مرحلة سيطرة علماء الأنثروبولوجيا المحترفين، و أخيرا مرحلة سيطرة الأنثروبولوجيّين المحليّين"[11].و عليه صار لزاما أمر التفريق بين أنثروبولوجيا الاستشراق و الأنثروبولوجيا الوضعيّة علما مستقلاّ بذاته ، يقوم على الفحص و المعاينة في دراسة السلالات البشريّة ، موضوعها الإنسان بوصفه كائنا اجتماعا بطبعه ، له ماضٍ و حاضر و مستقبل و ثقافة متعدّدة الجوانب تارة متأثّرة ، و أخرى مأثّرة ، يهدف الأنثروبولوجي للإفصاح عنها في لغة المعرفة المحضة .

غير أنّه في كل الأحوال لا يمكن إنكار علاقة الاستشراق بالأنثروبولوجيا ، فقد وصفتها الدراسات بأنّها علاقة جادّة و متينة ، لأنّ الدراسات الأنثروبولوجيّة زوّدت المستشرقين بمادّة غنيّة لبناء تصوّراتهم عن الحياة الفرديّة و الاجتماعيّة للمجتمعات الشرقيّة ، حقّقت عن طريقها تسويغا رائجا للهيمنة الأوروبيّة .

و عليه أخذت الدراسات الأنثروبولوجية منحاها الاستشراقي في التعامل مع ظاهرة التأريخ للمسرح العربي ، ممّا يجعلها الساعد الأوّل لحركة الاستشراق في تدعيم سلطة الثقافة الغربية المهيمنة على سائر ثقافات شعوب العالم المتبقية خصوصا منطقة الشرق الأوسط ، عن طريق سياستها المعروفة بالإدماج ضمن مخطّطها الكولونيالي ، الهادف إلى تعزيز الهوية الأوروبية من متناول حضاري أوسع أفقا لنموذج الهوية الإنسانية المطلقة ، و التي تنصهر فيها كل القوميات و تبيد فيها كل الحضارات ما عدا حضارة اليونان فكرا و منهجا تأصيليّا لكل العلوم و الفنون تنظيرا و ممارسة .

و أمام هذا الاحتكار السلطوي لم يجد الباحثين العرب بد سوى الخضوع للفكر الاستشراقي و مناهجه الغربية و اتجاهاته العلمانية في البحث و التقصّي ، و الأمر يتوافق و حديثنا عن جهود المستشرقين في التأريخ لنظرية المسرح العربي، فإلى أيّ حد ساهمت الأنثروبولوجيا في توسيع دائرة المد الاستشراقي في دراسة قضية المسرح

العربي؟ و من ثم ما الذي نقصده بأنثروبولوجيا المسرح؟ وصولا إلى نوايا الاستشراق في توظيفها للأنثروبولوجيا منهجا أصيلا في أبحاثها و دراساتها حول المسرح في الوطن العربي؟

لجأ المستشرقون إلى الدراسات الأنثروبولوجية في تأريخهم لحركة المسرح بالوطن العربي ، من خلال رصدها لمظاهر الفرجة العربية كأشكال مشابهة للمسرح أو قريبة منه ، بحيث يمكن إخضاعها لنظرية التطوّر الداروينية التي تنظر إلى الشعوب العربية نظرة التخلّف لذلك لم يكتمل الشكل المسرحي بمعناه الحقيقي و بقي مقتصرا على بعض الأشكال التلقائيّة الممارسة في الحياة العربية ، إلى أن جاء الاستعمار و تمّ فرض ثقافة هذا الأخير عليها بحجة رسالته الحضارية المزعومة للشعوب المستعمرة بنقلهم من التخلّف إلى التمدّن ، فكان المسرح من بين أبرز الفنون الواردة إلينا عبر ثقافة الآخر من خلال حملات الاحتلال الأجنبي لمواطن الأرض العربية .

فقد اصطحب نابليون في حملته على مصر عام 1798م فرقا مسرحية للترفيه عن الجنود ، و هناك شاهد الأهالي المصريون عروضا مسرحية بالمفهوم المسرحي المتعارف عليه ، و انتقل بعدها هذا النمط الفرجوي الفني لكثير من بلدان المشرق و المغرب الغربي عن طريق أعمال جورج الأبيض و جولاته المسرحية بالأقطار العربية ، حيث مكث في تونس قرابة العام تعاون فيها مع سليمان القرداحي و قاما بعرض أعمالهما في كل من تونس و الجزائر، و قد لاقت عروضهم استحسانا كبيرا خاصة من طرف النخب الفنية المثقفة كما استهوت قلوب الرعايا[**] ، حيث قدمت الفرقة التضامنية عرضين مسرحيين للمؤلّف نجيب حداد الأوّل بعنوان "صلاح الدين الأيوبي" أين قام سليمان القرداحي بتجسيد دور البطل الإسلامي ضد الحروب الصليبية صلاح الدين الأيوبي ، و الثاني هو عرض لمسرحية "ثارات العرب".

هذا ما يؤكّد من جهة ثبوت رأي أصحاب النظرية القائلة بأن "فن المسرح أصبح معروفا في البلدان العربية بفضل توثّق العلاقات مع الحضارة الأوروبية ، أي في القرن التاسع عشر"[12] و من جهة أخرى دحضها لأنّ هذه الحضارة طبعت بطابع استعماري و من ثم فإن هذه العلاقات كانت موجودة قبل هذا العهد ، و مع ذلك لم تتعرّف الشعوب العربية على هذا اللون الفني في صيغته التطوّريّة التي تؤهّل لمفهوم المسرح . إلا أنّ البحوث الأنثروبولوجية التي تعرّضت "بشكل جيّد لدراسة مسارح الشرق الأخرى كالمسرح الياباني و الصيني و الهندي و الفارسي، ذات الطابع القومي العريق و المعروفة بتطوّرها التقني العالي، هذه البحوث تدحض ذلك الرأي بسهولة"[13]، و حتى أنّ أبرز المخرجين المسرحين المحدثين يعترفون بوجود مسرح شرقي ضارب في التاريخ البعيد عن حضارة اليونان ، مثل أنطونين آرتو الذي حبّذ تسمية مسرحه بالمسرح الشرقي لأنّه كان على وعي بمدى عظمة

هذا الأخير معرفيّا و فنيا، و كذا بيتر بروك الذي كان لا يتردّد و لو للحظة تلفّظ عبارة "مسرح شرقي" لانبهاره بتقنياته العالية التي لا تنفصل عن الجو الطقوسي المقدّس لأعرافه و تقاليده الاجتماعية .

من هنا كانت وجهة نظر المستشرقين في بحثهم عن فن راق متكامل الجوانب كفن المسرح عند العرب ، تميّزت في دقّة النظر إلى تلك التأمّلات الأنثروبولوجية في منطقة الشرق الأوسط من أنواع الفرجة الفنية الثقافية و قابلية تطوّرها إلى فن التمثيل أي الدراما ، و عليه اقترب الاستشراق أكثر فأكثر من الأنثروبولوجيا في محاولته "أن يكون أحد العلوم التاريخية"[14] لتبرير أغراضه في البحث بصفة العلم و الإنسانية و المنهج القائم على النقد العلمي ، لكن الوجه الآخر للاستشراق ما فتىء أن يظهر من خلال علاقته بالاستعمار ، لتتضح معالم الهيمنة و السيطرة في الفكر الاستشراقي ، و هو الجانب الذي عبّر عنه عالم الأنثروبولوجيا الوظيفية "مالينوفسكي" بقوله هي : "دراسة الإنسان بطريقة تسيء للإنسان تماما كما جرحت الفيزياء و الكيمياء و الطبيعيات الطبيعة في السنوات السابقة "[15]و هو صنيع الاستشراق ذاته في احتمائه بالدراسات الأنثروبولوجية منهجا علميا لا سبيل للتشكيك في صحّة و نزاهة نظرياته و طريقة بحثه ذات الطابع الإحصائي الخالص من الشوائب و النزعات الذاتية.

هذا التنظير الاستشراقي الأعمى للأنثروبولوجيا ، هو الذي جعل هذه الأخيرة خطر من مخاطر التنظير "تحت غطاء علمي و عقلي للسياسات الاستعمارية من خلال تصنيف الشعوب تصنيف تفاضلي عنصري ممّا يعطي الشرعية و العقلنة العلمية للاستعمار من خلال منحه لعب دور هدم الهوّة بين مجتمعات أعلى السلّم و المجتمعات الدنيا خدمة للإنسانية "فالعلامة العلمية هنا جاهزة و هي حمل قيم التمدّن و الحضارة للشعوب المتخلّفة و الأقل تصنيفا، و هي الذريعة التي قدّمتها الداروينية الاجتماعية تحديدا للاستعمار الحديث"[16] أو حسب تعبير "هيقل" خلق التوفيق بين البنية الاجتماعية الفوقية و البنية الاجتماعية التحتية خدمة للشعور الإنساني .

لذلك فإنّ فحص نظريّات الاستشراق المسرحي قد يتطلّب منّا إعادة النظر في الأنثروبولوجيا ذاتها و صحّة منابعها العلمية، و هذا ما لمح إليه حسن فهيم[***] في كتابه "قصة الأنثروبولوجيا" قائلا :"إنّ فحص التراث العربي الإسلامي و دراسته ، بمكتنزاته المعرفية و الثقافية الفنية ، قد يؤدّي في رأينا إلى إعادة تاريخ الأنثروبولوجيا من جديد أو على الأقل الأصول المعرفية و المنهجية لها بحيث لا تردّ جميعها إلى عصري النهضة أو التنوير الأوروبيين"[17]، و بذلك يمكن تخليص المسرح العربي من تبعيّته للمسرح الغربي، لأنّه مهما يكن من الأمر فإنّ الثقافة العربية عرفت ظواهر ما قبل مسرحية يمكن اعتبارها الانطلاقة الممكنة للمسرح العربي، إضافة إلى تلك الأسواق الثقافية التي عرفتها ساحة الفكر العربي كسوق عكاظ الذي كان "سوقا للشعر بإلقاء مسرحي، أو ما يسمّى اليوم بمنولوج لشخص واحد ، و أشكال أخرى تنوّعت في طقوس دينية و وثنية من الخليج العربي إلى

المحيط الهادي ، منها ما دوّن و الكثير بقي بدون تدوين مطمورة تحت الرمال إلى اليوم "[18] و هذا لا يمكن اعتباره عثرة في تاريخ المسرح العربي لعدم ثبوت نصوص مسرحية قديما ، و إلاّ اعتبرنا كوميديا ديلارتي الإيطالية شكلا فرجويّا لا مسرحيّا لأنّها لا تستند إلى نص درامي مكتوب مسبقا "و مثال ذلك الممثلون الجوّالون الفرنسيون و الألمان ، و البهاليل الروس، و المسارح الهزلية السوقية في أوروبا"[19].

وعليه فإنّ إشكالية التأريخ الاستشراقي لنشأة المسرح العربي من وجهة نظر أنثروبولوجية لا تزال رهينة رؤى إيديولوجية محضة لأجل تمصير قضية المسرح العربي في شأن هويته بين استراتيجية المعرفة و استراتيجية القوّة و السلطة، التي أسّس من خلالها الاستشراق الأنثروبولوجي خطابه في المسرح العربي.

الإحالات و الهوامش:

*تعرف الأنثروبولوجيا بأنها دراسة للإنسان و إنجازاته ، و يرجع استقرار ترجمة كلمة " أنثروبولوجيا" بعلم الإنسان في الكتابات العربية ، إلا أنّ الكلمة مشتقة من كلمتين يونانيتين هما : أنثروبوس – Anthropos بمعنى الإنسان و لوغوس – Logos بمعنى العلم ، و من ثم فإن الترجمة الحرفية لكلمة أنثلروبولوجيا هي : " علم الإنسان " أي العلم الذي يختصّ بدراسة السلالات البشرية.

ينظر : محمّد عبده محجوب ، مقدمة في الأنثروبولوجيا . المجالات النظرية و التطبيقية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، د ت ، د ط، ت : 4860163 ، ص 35.

1 . م ن ، ص 37

2 . ينظر : يوهان فوك ، الدراسات العربية و الإسلامية في أوروبا ، تر: عمر لطفي العالم ، دار المدار الإسلامي . بيروت، د ط ، ص20

3 . محسن جاسم الموسوي، الاستشراق في الفكر العربي، المؤسسة العربية للدراسات و النشر . بيروت ، 1993م /ط 1 ، ص 63.

4. نظر : ، سالم يفوت ، حفريات الاستشراق، المركز الثقافي العربي ـ بيروت، 1989 /ط1، ص 53

5 . الاستشراق ومنهج الأنشروبولوجيا

https://www.facebook.com/permalink.php?id=227839647365972&story_fbid=227861487363788

6 ـ محسن جاسم الموسوي، الاستشراق في الفكر العربي، م ن، ص 69

7 . جاك غودي ، الشرق في الغرب ، تر : محمّد الخولي بدعم من مؤسسة محمّد بن راشد آل مكتوم ، المنظمة العربية للترجمة الحمراء . بيروت . لبنان ، ط1 / 2008م، ص 2.

8 . سامي زبيدة ، أنثروبولوجيات الإسلام ، مناقشة و نقد لأفكار أرنست غلنر ، دار الساقي ، بيروت ، 1997 ، د ط.

9– ينظر : . ادوارد سعيد ، الاستشراق (المعرفة . السلطة . الانشاء)، تر : كمال أبو ديب ، بيروت ، ط2/ 1984 .

10 . عبد الرحمن خرشي ، فلسفة الاستشراق و أثرها في الصراع الحضاري، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع . الجزائر ، 2013 ، د ط ، ص 29.

11-Voir:Richard Autoun,Muslim preachers in the Modesa World, A.jordanian case, Princetom University press,1989 , pp . 26 – 33

**ينظر: محمّد عزيزة ، المسرح و الإسلام ، Sned / الجزائر ، ص 45

Mohamed Aziza,Le théatre et L'islam/Algérie ,p.45

12 . تمارا ألكسندروفينا ، ألف عام و عام على المسرح العربي ، تر: توفيق المؤذن، دار الفارابي بيروت ـ لبنان ، ط2/ 1990 ، ص 14

13. م ن ، ص 14

14 . ينظر : الاستشراق و منهج الأنثروبولوجيا

https://www.facebook.com/permalink.php?id=227839647365972&story_fbid=227861487363788

15 . ينظر : علم الاجتماع الاستعماري ، الأنثروبولوجيا نموذجا

http://www,eltwheb.com/vb/show thread.php?59311

16 . ينظر : الموقع نفسه

***حسن فهيم : خبير البحوث بمعهد الأنثروبولوجيا للتنمية بنيويورك.

17 . حسن فهيم ، قصة الأنثروبولوجيا . فصول في تاريخ علم الإنسان ، عالم المعرفة : سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب . الكوت ، د ط ، د ت ، ص 201

18 . نور الدين عمرون ، المسار المسرحي الجزائري إلى سنة 2000 ، شركة باتنيت . باتنة .الجزائر ، ط 1 / 2006م ، ص 29

19 . تمارا ألكسندوفينا ، ألف عام و عام على المسرح العربي ، م ن ، ص 22